

روح المعاني

على أخرى مثلها أى لو لم تكونوا في بروج ولو كنتم الخ وقد اطردهم الحذف في مثل ذلك لوضوح الدلالة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك نزلت على ماروى عن الحسن وابن زيد في اليهود وذلك انهم كانوا قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا أمسك عنهم بعض الامساك فقالوا : مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل فالمعنى إن تصبهم نعمة أو رخاء نسبوها الى الله تعالى وإن تصبهم بلية من جذب وغلاء أضافوها اليك متشائمين كما حكى عن أسلافهم بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه والى هذا ذهب الزجاج والفراء والبلخي والجبائي وقيل نزلت في المنافقين ابن أبى وأصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم أحد وقالوا للذين قتلوا لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا فالمعنى ان تصبهم غنيمة قالوا : هي من عند الله تعالى وإن تصبهم هزيمة قالوا : هي من سوء تدبيرك وهو المروى عن ابن عباس وقتادة وقيل : نزلت فيمن تقدم وليس بالصحيح وصح غير واحد أنها نزلت في اليهود والمنافقين جميعا لما تشاءموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقطعوا وعلى هذا فالمتبادر من الحسنة والسيئة هنا النعمة والبلية وقد شاع استعمالها في الطاعة والمعصية والى هذا ذهب كثير من المحققين وأيد باسناد الاصابة اليهما بل جعله صاحب الكشف دليلا بينا عليه وبأنه أنسب بالمقام لذكر الموت والسلامة قبل وقوله تعالى قل كل من عند الله أمر له صلى الله عليه وسلم عليه و سلم بأن يرد زعمهم الباطل واعتقادهم الفاسد ويرشدهم إلى الحق ببيان إسناد الكل اليه تعالى على الإجمال أي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وإيجادا من غير ان يكون لي مدخل في قوع شء منها بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتي بيانه .

وهذا الجواب المجل في معنى ما قيل : ردا على أسلاف اليهود من قوله تعالى : إنما طائرهم عند الله أي إنما سبب خيرهم وشرهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يستند ذلك اليه ويطيروا به قاله شيخ الاسلام ومنه يعلم اندفاع ما قيل : ان القوم لم يعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم فاعل السيئة كما اعتقدوا أن الله تعالى فاعل الحسنة بل تشاءموا به وحاشاه E فكيف يكون هذا ردا عليهم ولا حاجة الى ما أجاب به العلامة الثاني من أن الجواب ليس مجرد قوله تعالى : قل كل من عند الله بل هو الى قوله سبحانه : وما أصابك من سيئة الخ وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم أي اليهود والمنافقين والمحتقرين لا يكادون يفقهون أي يفهمون حديثا .

- أي كلام يوعظون به وهو القرآن أو كلاما ما أو كل شيء حدث وقرب عهده كلام من قبله تعالى معترض بين المبين وبينه مسوق لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والجملة المنفية حالية والعامل فيها ما في الظرف من الاستقرار أو الظلرف نفسه والمعنى حيث كان الأمر كذلك فأى شيء حصل لهؤلاء حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا نصوص القرآن الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى أو بمعزل من أن يفهموا حديثا مطلقا عدوا كالبهائم التي لا أفهام لها أو بمعزل أن يعقلوا صروف الدهر وتغيره حتى يعلموا أنه لها فاعلا حقيقيا بيده جميع الامور ولامدخل